

دليل الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب الدكتور سامي حمارنة

جمع وإعداد الدكتور سامي خلف حمارنة

عبد الكريم زهور عمدي

(١)

« دليل الباحثين » هو الكتاب الثاني عشر (١٩٨٠) من سلسلة الكتب التي يصدرها « معهد التراث العلمي العربي بحلب » في تاريخ العلوم العربية .

ومؤلفه هو الدكتور سامي خلف الحمارنة (١٩٢٥) الأردني المنشأ الأميركي المهجر الذي « عمل في معهد السميثسونيان (الولايات المتحدة) ثمانية عشر عاماً قبل تقاعده ، وهو مهتم بتاريخ النباتات والعقاقير والصناعة الطبية عند العرب والمسلمين ، وله خبرة في المتاحف الخاصة بالطب والصيدلة والعلوم . . وله اهتمام بتاريخ الكتب المقدسة العلمي والحضاري » (١) .

ويحتوي الدليل على مقدمتين : الأولى بالإنكليزية والثانية بالعربية ، وملحقين : يوزع أحدهما الباحثين على البلدان التي يتسبون إليها والثاني على العلوم المختصين بها ، وعلى « فهرس بأسماء العرب والمسلمين الذين يكتبون بالأحرف العربية » .

ويترجم الدليل لسبعة وأربعين ومائتي باحث من الأحياء (الامن

واقامه الاجل اثناء اعداد الدليل او بعده) منهم زهاء مائة باحث وعشرة من الامريكيين والاوربيين والاسيويين (واقول زهاء لان هناك اساء هندية غمضت علي دلالتها) ، والباقون من العرب والمسلمين .

وهذا التمييز بين الباحثين من قبلي ، لان العرب والمسلمين يرتبطهم بالحضارة الاسلامية ، بالاضافة الي رابطة البحث العلمي ، نسب قومي او ديني . وتكون هذه الحضارة جزءا أساسيا من تاريخهم وعقليتهم ، فاهم منها بالضرورة ، الا الفاسقين . موقف خاص . فلا يستطيعون مها حاولوا اكثر من تحديد اثار هذه الخصوصية في أبحاثهم ، كما لم يستطع ، وفي أحيان كثيرة لم يشأ ، المستشرقون التخلص من خصوصية موقفهم من الحضارة الاسلامية . وكما لم يستطع الدكتور المؤلف ان يتخلص من شبكة العلاقات الاجتماعية والشخصية حين أدخل عددا غير قليل من العرب ومن سواهم أحيانا في عداد العلماء الباحثين .

وقد خص المؤلف كل باحث بصفحة تحتوي على ترجينين متشابهتين ، وان لم تكونا متطابقتين ، الأولى بالإنكليزية والثانية بالعربية . واعتمد كما يقول « الأولى في ترتيب الاسماء على طريقة الاحرف الهجائية ، عالمين أننا ولاشك تسهل العمل أمام كل من لا يكتبون أسماءهم بالاحرف العربية . الا أننا تقاديا لأية خسارة أو اجحاف (١) بحق اخواننا في الشرق الاوسط عامة ممن يكتبون بالاحرف العربية . . رأينا ان نضع لهم فهرسا ملحقا ترتب فيه اسماء هؤلاء الباحثين حسب الاحرف الهجائية العربية . . » (٢) .

وابتداء كل ترجمة بالاسم فتاريخ الولادة ومكانها فالجنسية

دليل الباحثين في تاريخ العلوم منذ العرب والمسلمين ٢٥٢

لعنوان المراسلة ، ثم تأتي بعدها « ترجمة مقتضبة للباحث غايتها انعطاف صورة سريعة ولكن مفصلة وشاملة قدر الامكان عن حياته ومكانته وتخصصاته والمعاهد التي كان له صلة بها ومركز عمله الحالي .. وبما ان لكل قصته .. فقد سحبت لنفسي بالانطلاق لجعل الترجمة حرة قدر الامكان .. واخيرا أدمجنا لكل باحث حوالي خمس مقالات أو كتب أو كرايس ، أقل أو أكثر ، حسب ما توفر لدينا ولديه .. » (٣)

ولكن لي بعض الملاحظات أرجو ان تكون في مكانها :

١ - أعترف أنني لم اتبين بوضوح ودقة موضوع هذا الدليل أي بتعبير أدق :

أ) ما العلوم التي ترجم الدليل للباحثين في تاريخها ؟ أول ما تبادر لي من العنوان انها العلوم العقلية النظرية^(١) مثل العلوم الرياضية والطبيعية والكيمياء الخ .. والعلوم التطبيقية المتصلة بها مثل علوم الحيل والطب والصيدلة والتعدين والزراعة والصناعات الخ .. حتى السيباء والتنجيم . وحين قرأت المقدمة أوشك ان يتأكد عندي هذا التهم ، فقد تكرر فيها ذكر « تاريخ وفلسفة علوم وصنائع الحضارة الاسلامية » ، أي تاريخ العلوم وفلسفتها والصنائع في الحضارة الاسلامية . ولكنني حين قرأت التراجم ورجعت الى الملحق الذي يوزع الباحثين حسب اختصاصاتهم وقعت على علوم أخرى مثل علوم الدين واللغة والتاريخ والجغرافية والاجتماع والثاقون والحرب والادب والفن والاثار والمتاحف والمكتبات الخ .. لا اعتراض لنا على المؤلف ، فهو حر في تحديد موضوع كتابه ولكن شريطة ان يستوفيه . أفلا يرى الدكتور المؤلف انه يدخل ميدانا

يصعب عليه أن يحيط به إذا ادخل في دليبه علوم الدين وعلوم اللغة فقط ؟ فكلم من أسماء سنقف على باب دليبه تدق بعنف وغضب لأنها أحق بالدخول فيه من كثير من تسلسل إليه ثم .. تصدر فيه ؟

ب) ومن الباحث الذي يمكن أن يعد من مؤرخي العلم العربي ؟ أهو العالم في أحد العلوم النظرية أو التطبيقية المذكورة سابقاً ؟ بالطبع لا ، وما أضن أن أحدا يخالف في هذا الجواب ، ولكننا نجد في الترجمة الأولى وهي للعالم الهندي محمد عبد الملك « .. ومع أن أبحاثه عليه إلا أنه يدخل العنصر الانساني التاريخي فيها » ، ثم لا تقع في المقالات الثلاث المذكورة له على ما يتصل بالعلم العربي ، أهو مؤرخ الحضارة أو المؤرخ للتاريخ الاسلامي نفسه إذا هو مرورا على ذكر العلم والعلماء العرب ، أهو المؤرخ العام للعلم إذا لم تكن وقته على العلم العربي طويلة ونافذة ؟ أهو مؤرخ العلم البابلي أو المصري أو الهندي أو اليوناني .. على الرغم مما يقدم من فائدة لتاريخ العلم العربي ؟ أهو الباحث الذي فرض منه مقال قبيل عتود لطويلة من السنين أو من أيام قليلة حول العلم العربي دون أن تكون له قيمة خاصة ؟ .. لا أضن ، فكلم من أسماء إذن ستخرج من الدليل ؟

الثا إذا وقفنا عند العلوم البحتة وفلسفتها ومناهج البحث فيها وتطبيقاتها ، وعند الباحثين الذين قدموا بحوثا ذات قيمة في هذا الميدان ، أو حققوا كتابا عاليا عربيا أو رسالة تحقيقا تقديما .. مقبولا لا بقبلي ، مع كثير من التسامح ، على أكثر من ثلثي الاسماء الواردة في هذا الدليل .

٢ - ولولا أن جاء في المقدمة : « .. واننا أدري من غيرنا بما فيه (الدليل) من نقص وتقصير ، فهناك العديد من الاساتذة الباحثين المدققين لم تعط لهم ترجمة ولا ذكر هنا ، ثم ان بعض من ذكرنا لم تتوفر لدينا المعلومات الكافية عن حياتهم وأعمالهم ونمى سؤالنا ذلك

منهم أكثر من مرة * * « - لقلت ان هناك اسماء ما كان يصحح ان يغفل عنها * ولكن يبقى ما فيه من زيادة أكثر بكثير مما فيه من نقص *

٣ - ثم ان الحكمة في ترتيب الدليل حسب الابدجية اللاتينية وتقديم الترجمة الانكليزية على أختها العربية ، لم تقنعني * لماذا لا نسعى لتسهيل العمل امام من يكتب بالاحرف العربية ، ثم تفادي الخسارة والاجحاف بحق زملائنا الاجانب بتنظيم فهرس انكليزي للاسماء جميعا ، لاسيما والدليل يصدر في بلد عربي ؟ ان الدافع الى هذه الملاحظة هو تلك الظاهرة التي تشل معظم الكتب العلمية التي حققها باحثون عرب ، وهي اخراج الكتاب وكأنه محقق من قبل مستشرق : المقدمة باللغة الاجنبية وكذلك الملاحق والفهارس وحتى العمليات والملاحظات في الحواشي *

انا تؤكد على ضرورة وجود مقدمة بلغة أجنبية لكل كتاب علمي عربي ، محقق أو مؤلف ، تبسط موضوعاته بسطا وافيا ، كيلا يكون لمؤرخي العلوم الاجانب حجة بعدم توفر المصادر في اغفالهم أو تجنيهم وظلمهم للعلم العربي والحضارة الاسلامية - ولكننا لا نريد للباحثين العرب ان يأتوا الى العلم العربي بلباس المستشرقين ، بل بعقلية العلماء العرب الموضوعيين النزيبين ، جهد الامكان *

(٢)

ان لمثل هذا الدليل ، وخاصة اذا أحكمت حدوده واشتمل على كل من تضمنه هذه الحدود (كما نرجو ان يصبح هذا الدليل في طبعته الثانية) منافع ذكرها المؤلف في المقدمة ، خلاصتها : أنه يكشف امام الباحثين ميدان عملهم والعاملين فيه والتقطعات التي يعملون فيها وما أنجز فيها من أعمال وما هو في طريق الانجاز وما ينتظر من عمل

فيه ، فيسهل التواصل فيما بينهم والتعاون فيوفر من تكرار الجهود
ويفيد في تنسيق الاعمال ويؤمن التكامل فيما بينهم وفيما بينها .

وأقول ، على هامش تعليقي هذا على « الدليل » : قد يكون
اكثر منافع وأجل من مثل هذا الدليل « تأريخ لتاريخ العلوم العربية »
لا بل انه أصبح ضرورة للباحثين في هذا الميدان . فقد مر على
أوائل بحوث المستشرقين في تاريخ العلوم أكثر من ثلاثة قرون وعلى
دراساتهم الهامة والجدية زهاء قرنين :

فقد نشر مثلا المستشرقون الانكليز : جون غرينز (١٦٥٢-١٦٥٢)
« الزيج السلطاني (الكركاني) لأولغ بك وعلم الفلك » سنة ١٦٥٠ ،
وكتاب « نصير الدين الطوسي » (١٦٥٢)^(٥) - وجون واليس (١٦١٦ -
١٧٠٣) « بحوث العرب على مبادئ إقليدس ، النص الاصيل
بترجمة لاتينية كانت تدرس في أوروبا منذ القرن الثاني عشر »
(١٦٥١) ، و « المؤلفون الرياضيون » (١٦٧٦ - ١٦٨٨) ، و
« مجموعة المصنفات في الرياضيات » (١٦٩٣ - ١٦٩٩)^(٦) - وجان
غانيه (١٦٧٠ - ١٧٤٠) (فرنسي الاصل والنشأة ولكن عمله كان
في أكسفورد) ترجم « رسالة الرازي على الجدي » في أوائل القرن
الثامن عشر^(٧) - وفردريك أوغست روزن (- ١٨٣٩) (وهو الماني
الاصل والنشأة ولكن عمله كان في جامعة لندن) « كتاب المختصر في
حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي » (١٨٣٠) وترجمه الى
الانكليزية (١٨٣١) - الخ^(٨) .

ونشر المستشرقون الفرنسيون : ب قاتيه (١٦١٣ - ١٦٦٧)
« الامراض العقلية لابن سينا » في ترجمة فرنسية (١٦٥٨) ، و
« خلاصة الكلام في تأويل الاحلام لعبد الرحمن بن نصر الشيرازي »
(١٦٦٤)^(٩) - وجان جاك سديتو (١٧٧٧ - ١٨٣٢) « ما كتبه ابن

دليل الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين ٦٥١

يونس وأبو الوفاء في العلوم الرياضية بتعليق وحواش « (١٨٠٤) » ؛
ثم نشر له ابنه لويس (١٨٠٨ - ١٨٧٦) معظم مؤلفاته بعد وفاته :
« جامع المبادئ والغايات في علم الميقات لأبي علي المراكشي : متنا
وترجمة فرنسية مع ٢٨ لوحا : في جزأين » (١٨٣٤ - ١٨٣٥) ؛ و
« نبذة في الهندسة لابن الهيثم » (١٨٣٤) ؛ و « مواد لتاريخ العلوم
الرياضية والمقارنة بين اليونان والشرقيين ، في جزأين » (١٨٤٥ -
١٨٤٩) ؛ و « الجبر عند العرب » (١٨٥٢) (١٠) - الخ ...

وتراكمت خلال هذه السنين الطوال ابحاث كثيرة للمستشرقين
بعبارة بلغات كثيرة وفي مراجع متنوعة ، بحيث يصعب العثور على
الكثير منها . بل قد يتعذر .

ان تاريخ العلوم العربية لم يكتب بعد ، ولكن لكتابته يجب
على جانب تحقيق أمهات الكتب العلمية العربية واسترجاع ما فقدت
أصوله العربية منها من ترجماتها اللاتينية أو العبرية التي لغتها
الأصلية - التعرف على الأعمال الهامة التي جرت في هذا الميدان .
ولن يعني عن مثل هذا « التأريخ » ، الذي نتحدث عنه ، كتب
الفهارس أو التراجم من امثال تاريخ الادب العربي لبروكلمان والاعلام
للزركلي وتاريخ التراث العربي لسيزكين والمستشرقون لنجيب
عقيلي الخ ... لان هذه الكتب لا تحتوي على اكثر من تراجم
مختصرة للرجال ومصادر كاملة أو ناقصة لكتبهم مخطوطة ومطبوعة
ان ما يلزم الباحثين في تاريخ العلوم العربية هو شيء يشبه ما فعله
طليبو في كتابه « علم الفلك ، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى » .
فكارلو الفونسو نلينو (١٨٧٢ - ١٩٣٨) في كتابه هذا وجد ان
عليه ، بعد ان حدد موضوع علم الفلك عند العرب ، ان يقف عند
مصادره عندهم ، لانه « لا يصل الى فهم تاريخ العلوم ... الا من

اطلع على أخبار العلماء وألم بعرفة احوال الزمان التي عاشوا فيها .
 فيشتمل تاريخ العلوم على قسمين : قسم منها تراجع الحكماء
 أصحاب الفن المفروض وذكر مصنفاتهم . وقسم بيان أفكارهم
 واكتشافاتهم واختراعاتهم وما أتوا به من الانتقان والاكسال لمعارف
 المتقدمين . . . (١١) فخصها (أي هذه المصادر) بست محاضرات
 (ابتداء بالسادسة و انتهاء بالحادية عشرة) (١٢) ، عرف فيها بالمصادر
 الاربعة التي وجدها بين يديه مطبوعة ، وهي : الفهرست لابن النديم
 (أنهى تأليفه سنة ٣٧٧ / ٩٨٧) تاريخ الحكماء للقفطي (٥٦٨ - ٦٤٦ /
 ١١٧٢ - ١٢٤٨) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة
 (- ٦٦٨ / ١٢٧٥) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي
 خليفة (١٠١٥ - ١٠٦٨ / ١٦٥١ ، ١٦٥٢ - ١٦٥٨) فترجم لمؤلفيها ،
 وعرض لمحتوياتها فقومها ونقدها وذكر بعض ما ورد فيها من أغلاط
 وأوهام ، ثم نقد طبعاتها .

لست في صدد عرض كتاب نلينو ، بل هو مثال عالم أراد ان
 يؤرخ لعلم الفلك عند العرب فوجد نفسه مضطرا السى التعريف
 بمصادره ، وليس هذا المثال هو الوحيد في الكتاب فقد خصص تسع
 محاضرات للتعريف بكتب علم الهيئة وعلم أحكام النجوم المنقولة
 الى العربية من الهندية والفارسية والسريانية واليونانية (١٣) ذلك
 وكتابه لا يتناول الا بدايات علم الفلك عند العرب .

فما أقصده بتاريخ تاريخ العلوم العربية اذن هو التعريف النقدي
 بزعمات كتب العلوم العربية المحققة وبالدراسات الهامة المتصلة بهذا
 العلم وأصوله ومقامه في الحضارة الانسانية .

انه عمل واسع الجنبات شاق ولكنه عمل عظيم . وقد يكون
 معهد التراث العلمي العربي أولى من يقوم به ، فقد بدأ حياته بداية
 نشيطة وجدية توحى بالثقة والتماؤل ، فلعله

عبد الكريم زهور عدي

الراجع :

- (١) سامي حمارنة ، دليل الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين ، الترجمة ٩١
- (٢) المرجع نفسه ، المقدمة العربية .
- (٣) المرجع نفسه ، المقدمة العربية .
- (٤) اعني بالعلوم العقلية النظرية ما تعنيه بعامة في كتب التراث (ما عدا العلم الالهي) : فهي عقلية بمقابل العلوم النقلية (العلوم الشرعية واللسانية) : وهي نظرية بمقابل العلوم العملية (علوم الاخلاق والسياسة ..) .
- (٥) نجيب عتيقي ، المستشرقون ، ج ٢ ، ص ٤٦٥
- (٦) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٦٩
- (٧) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٧٢
- (٨) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٧٨
- (٩) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٢
- (١٠) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٧٧ - ١٧٨
- (١١) ك.أ. تليسنو ، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، ص ٤٣
- (١٢) المرجع نفسه ، ص ص ٤٧ - ٨٢
- (١٣) المرجع نفسه ، ص ص ١٧٧ - ٢٢٩